المبحث الثاني

المناسبة على مستوى

كلمتين داخل التركيب (النسقي)

إنّ لكلّ كلمة دلالة معجمية لها قيمتها من حيث هي ذات مدلول معجمي له أهميته البالغة في تكوين الجملة النصية، وهذه الكلمة بشكلها الصيغي تحمل معنىً إضافيّاً ينتمي إلى المعاني التركيبية[١]، ولها قيم نحوية لموقعية المناسبة (النسق) بين مستوى كلمتين داخل التركيب[٢]. وهاتان الكلمتان هما لفظتين لكلّ منهما شقين وظيفي (تركيبي) ومعجمي، يفضي اجتماعهما أو تكافلهما إلى المعنى الدلالي داخل التركيب أو النص. وأنّ المناسبة بين اللفظ والمعنى بينهما يؤدي وظيفة في تركيب النص، وهذه الوظيفة هي المعنى الذي يؤديه المبنى اللغوي في الجملة والنص[٣]. ونعني بالمناسبة على مستوى كلمتين أو على مستوى التركيب كلّه هي علل ترتيب الكلمات أو الآيات متسقة المعاني ومنتظمة المباني، أو البحث عن المعاني الرابطة بينها حتى تعرف علل ترتيبها[٤].

---

(١) ينظر: النحو والسياق الصوتي: ٢٦٠.

(٢) ينظر: دلالة السياق: ٣٧٥؛ وينظر: سر الفصاحة: ١٦٩.

(٣) ينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ١٤٢/١؛ ينظر: أسرار ترتيب القرآن: ٥/١؛ ينظر: المناسبة وأثرها في تفسير التحرير والتنوير: ٢٧؛ ينظر: مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم: ١٨؛ ينظر: علم المناسبات في السور والآيات: ٢٧.

(٤) ينظر: علم المناسبات في السور والآيات: ٢٨؛ وينظر: علم المناسبات في القرآن الكريم: ٢٣.

وعلل ترتيبها إمّا أن يكون موقعية الكلمة بشتى أنواعها من بعضها، ويتحكم في مواقع الكلمات النظام اللغوي الذي يفترض ترتيباً نظاميّاً للكلمات في الجملة، وهذا الترتيب ما عرف عند النحاة بالرتبة، وهي تعني موقع الكلمة معجمية أو تركيبية من الأخرى باعتبار كلّ منها شغل باباً نحويّاً[1]، أو يكوّن النظام التركيبي؛ لأنّ اللغة تظم أنواعاً من المركبات، منها المركبات الإضافية، والمركبات النعتية، وهذه المركبات تساعد الدلالة المعجمية داخل تركيب الآية أو النص لإيجاد دلالة جديدة هي ناتجة عن مزج بين لفظين لكلّ منهما دلالته الخاصة، وبعد عملية المزج، أو التركيب تحصل على دلالة ثالثة، فيها شيء من دلالة كلّ مكون، لكنها تحتفظ بدلالتها الخاصة التي لا تحصل عليها إلاّ من خلال التركيب[2].

والمناسبة ظاهرة موقعية تحافظ على الانسجام الصوتي والتناسب في التركيب اللغوي، واللغة العربية تحرص على التناسب بين أصوات ومعاني كلماتها ما وسعها ذلك، وتسعى إلى التأليف والانسجام، وذلك بطريقة فنية تعمّق حسن الاختيار، من إيجاز لفظ وحسن نسق وتأنق في الصياغة وروعة في التصوير، وأنّ المستوى البلاغي والفني للمعنى هو الذي يراعي تلك الوظيفة الأساسية عند الصياغة[3]، وهذا المعنى الوظيفي للكلمة التركيبية أو مستوى الكلمتين داخل التركيب بشتى صوره يمكن استخلاصه من وجود المناسبة بينهما لفظاً ومعنًى بإحصاء المعاني المعجمية والمعاني التركيبية للكلمتين

---

(١) ينظر: دلالة السياق: ٣٦٩.

(٢) ينظر: الدلالة والمعنى: ٢٥٧.

(٣) ينظر: النحو والسياق الصوتي: ٢٥٣، ٢٥٤؛ وينظر: الإعجاز القرآني: ٧٤.

بدلالتهما الجديدة في التركيب[1]. والقرآن الكريم يحمل جماليات التناسق والتناسب اللفظي والمعنوي في التركيب على مستوى كلمتين داخل التركيب وعلى مستوى الآيات والنصوص والسور والقرآن كلّه، حتى يكون نسيجاً واحداً أو بناءً متسق الأركان والأبعاد والجماليات وتناسق الموضوعات، والنبرة اللفظية، وجرسه الفريد، وتأثيره في النفوس، وهذا التناسب في القرآن الكريم كامل من كلّ جوانبه وأساليبه، ولا يمكن أن تجمع ذلك التناسب والتناسق أساليب العربية أو أي لغة أخرى[2].

ومن أمثلة التناسب على مستوى كلمتين داخل التركيب، قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[3]، فلفظة ﴿ ٱهۡدِنَا ﴾ و﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ تناسب وتناسق بحسب موقعية الكلمتين في الرتبة، فـ﴿ ٱهۡدِنَا ﴾ فعل فيه دعاء وطلب وقد تقدّم على لفظتي ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ وهي مفعول ثاني بعد (النون) و(الألف) المفعول الأول، وهذا التناسب والتناسق حسب الموقعية النحوية في الرتبة، و﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ هو تركيب نعتي، لأنّ لفظ ﴿ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ نعت للفظ ﴿ٱلصِّرَٰطَ ﴾، وإبدال السين صاداً لتوافق الطاء في الإطباق؛ لأنّ السين مهموسة والطاء مجهورة، فيتبين هنا التناسق والتناسب على مستوى كلمتين داخل التركيب، فضلاً عن التناسب بين أصوات الحروف في الإطباق[4]، وقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[5]،

(١) دلالة السياق: ٣٧٥.

(٢) ينظر: نظرية النظام اللغوي للقرآن الكريم: ٨.

(٣) سورة الفاتحة: ٦.

(٤) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس: ١/٢٠؛ ينظر: إعراب القرآن، للباقولي: ١/٣٧٧.

(٥) سورة النحل: ١.

وهنا ﴿أَتَىٰٓ﴾ فعل على بنية الماضي وهو دائم، أو مستقبل، وهو قد تقدّم لفظ ﴿أَمۡرُ﴾ بالرتبة، لتقدم الفعل على الفاعل نحويّاً[1] و﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ وهو الفاعل وهو مضاف ومضاف إليه أي: تركيبة إضافية، تبيّن معناها من خلال التركيبة العامة للآية.

وهنا يتبيّن المعنى على مستوى كلمتين مرتبة أو مركبة داخل التركيب، فيكون المعنى أنّه المراد بـــ﴿أَتَىٰٓ﴾ المبنية على الماضي المستقبل، لّما كان خبر الله صدقاً، جاز أن يعبّر بالماضي عن المستقبل[2].

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾[3]، وقوله: ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾[4]، وهناك الكثير من الكلمات التي تعطي معنًى جديداً على مستوى كلمتين داخل التركيب، لأنّ كما قال الرازي: «أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»[5].

(١) تأويل مشكل القرآن: ١/١٨٠.

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢/٧٨٨.

(٣) سورة طه: ٦٩.

(٤) سورة الشعراء: ٨٩.

(٥) تفسير الرازي: ٣٠/١١٣؛ ينظر: ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم: ٨٧.